المداخل المنهجية الكبرى في علم الاجتماع

عنوان البحث:المدرسة الخلدونية "الإسلامية:

المدرسة الخلدونية هي أول مدرسة ذات طابع تجديدي تم إنشاؤها في تونس سنة 1896 تقع في تونس (مدينة) تونس العاصمة . تم إنشاؤها من قبل حركة الشباب التونسي بقيادة البشير صفر بشير صفر . كان الهدف منها إعطاء ثقافة علمية في وسط المجتمع الثقافي العلمي وخصوصا خريجي جامع الزيتونة ذلك لأن تعليمهم ديني فقط. كان يدرس فيها علوم الجغرافيا والرياضيات والحقوق وكانت تدرس فيها اللغة الفرنسية والعربية. كان تمويلها يتم من خلال هبات وتبرعات من قبل أعضاء حركة الشباب التونسي.

مرحلة التأسيس: تناول المتدخلون تاريخ تأسيس المدرسة الخلدونيّة، حيث تمّ استعراض تاريخ مقرها بنهج سوق العطارين في المدينة العتيقة منذ كان منزلًا للعالم الحفصيّ الإمام ابن عبد السلام في القرن الرابع عشر. وقد بعثت الجمعيّة على يد مجموعة من قدماء المدرسة الصادقية (التي أسسها المصلح خير الدين التونسي لتعصير التعليم) ومجموعة من شيوخ جامع الزيتونة عام 1896. وقد تمثّل هدفهم الرئيسيّ في توسيع معارف طلبة الزيتونة الذين اقتصر تعليمهم على علوم اللّغة العربيّة والعلوم الشرعيّة، فيما وفّرت الخلدونيّة لهم تكوينًا في العلوم الحديثة مثل الجغرافيا واللّغات والرياضيات والقانون وغيرها.

وقد ترأس المصلح التونسي البشير صفر الخلدونيّة، التي ساهم في تأسيسها، عام 1897. وعمل صفر على تقديم محاضرات في التاريخ ضمّنها آراءه الإصلاحيّة، كما ساهم أيضًا الشيخ سالم بوحاجب في نشاطها بإلقاء محاضرات، وهو من الشيوخ الإصلاحيّين الذين حاولوا تجاوز الأدوار والرؤى المشيخيّة التقليديّة.

مراحل نشاتها:

مرحلة التطوير: أشار المؤرخ محمد ضيف الله، المختص في المسائل الطلابيّة، في مداخلته إلى التطوّر الذي شهدته الخلدونيّة بعد الحرب العالميّة الثانيّة. حيث عرفت المدرسة وتونس تحوّلات كبرى. فقد أمسك الشيخ محمد الفاضل بن عاشور إدارة الخلدونيّة. وأمام تأسيس الاحتلال الفرنسيّ معهد الدراسات عام 1945، والذي كان يتبع جامعة باريس ويدرّس مواده باللغة الفرنسية، قرّرت الهيئة المشرفة تحت إدارة بن عاشور تحويل الخلدونيّة إلى ما أسمته "جامعة شعبيّة."

داخل ذلك الإطار، صالحت الخلدونيّة بين شهادة التعليم العصري (البكالوريا) وشهادة التعليم الزيتوني التقليديّ (التحصيل) حيث اشترطت حصول الطالب على إحداهما للالتحاق بها. وتأسس داخلها معهد الدراسات الإسلاميّة، الذي قُسّم إلى أربعة فروع تهدف إلى دراسة التاريخ والجغرافيا وسياسة المجتمعات الإسلاميّة في الهند وإيران وتركيا والعالم العربيّ. وقد نظّم المعهد حوالي 50 محاضرة سنويًا. كما تمّ بعث معهد الحقوق العربيّ لتدريس القانون باللّغة العربيّة ومعهد دراسات الفلسفة.

كما أقام ضيف الله ربطًا بين تطوير نشاط الخلدونيّة وبين الحركة الوطنيّة التحريريّة التونسيّة. حيث اعتبر المدرسة جزءًا من المشروع الوطنيّ المضاد للاستعمار. إذ درّست في المعاهد المنشأة شخصيات

تنتمي إلى قيادة الحزب الحرّ الدستوريّ الجديد، من أبرزهم صالح بن يوسف، الباهي الأدغم، علي البلهوان والصحبي فرحات إضافة إلى الشيخ محمد الفاضل بن عاشور والأديب محمد العروسي المطوي. علاوة على ذلك، احتضنت الخلدونيّة المؤتمر التأسيسيّ للاتحاد العام التونسيّ للشغل عام 1946 ونال مديرها الرئاسة الشرفيّة للمنظمة، إضافة إلى احتضانها مؤتمر الثقافة الإسلاميّة عام 1949.

وفي المحصّلة، استنتج ضيف الله أنّ المدرسة الخلدونيّة انطلقت كامتداد لجامع الزيتونة وانتهت مؤسسة شبه مستقلة لها أدوار وطنيّة وعبر وطنيّة وتتفرّع عنها مؤسسات أخرى.

مرحلة الانحداروالانحطاط: لم تكن مرحلة التطور طويلًا، حيث عرفت الخلدونيّة بعد الاستقلال انحدارًا عطّل نشاطها، حيث أشار محمد ضيف الله إلى التضييق الذي عرفته المدرسة منذ 1958، حيث نصّ قانون الجمعيات عام 1959 على تقديم الجمعيات القائمة مطالب جديدة لمواصلة نشاطاتها، وقد أُعتبرت الخلدونيّة جمعيّة بعد قرار توحيد التعليم ما يعني تجريدها من دورها العلميّ، ونُشرت في تلك الحقبة في الرائد الرسميّ التونسي قائمات ممتدة لأسماء الجمعيات التي حَلّت هياكلها. وجرّاء الإجراءات الجديدة، توقّف نشاط الخلدونيّة وحوّل جزء منها إلى مدرسة خاصّة وألحق فضاء مكتبتها بإدارة المطالعة العموميّة. وفي عام 1980، أغلق الفضاء تمامًا إلى حدود عام 1992 حيث ألحق بالمكتبة الوطنيّة وجرت محاولات لإحيائه.

العودة إلى النشاط: اعيد فتح المدرسة بعدها وتم تحويلها إلى مجال للمطالعة والأنشطة الثقافيّة". كما تم توحيد الخلدونيّة مرّة أخرى وإرجاع بريقها خاصّة أنها تقع وسط سوق تجاريّة وأحياء سكنيّة في المدينة العتيقة ما يسمح بإشعاعها على محيط في أمسّ الحاجة إلى فعاليات ثقافيّة.

كما تحدث عادل الحاج سالم، مسؤول الأنشطة الثقافيّة بالمكتبة الوطنيّة، الذي أطلعنا على الأنشطة الثقافيّة المبرمجة في الفضاء كلّ يومي أربعاء وجمعة تحت اسم "مجالس الخلدونيّة". وتتوزّع الفعاليات بين ورشات تفكير وموائد مستديرة ونواد للرواية والشعر والأدب تعنى بالأخصّ بالإنتاجات الشبابيّة وتشجّعها.